بوابة هذه التي تستقبلك بظهرها؟! قال الناطر: هذا مزاح ولعب، المقام جاد والمقال أيضا. عاد إلى الكتابة:

في يناير عام ١٩٥٢ بدأ الحريق بشارع إبراهيم باشا، بعدها جاء الضباط الأحرار، أطلقوا عليه شارع الجمهورية. أرادوا على ما يبدو رفع الحاجز بين المدينتين، ولكنهم على طريقة الضباط أصدروا أمرا، وأيضا على طريقة الضباط الذين لم يتح لهم بعد إنهاء تعليمهم الثانوي سوى عامين أو ثلاثة من دراسة لا تخرج مقرراتها عن حدود العلوم العسكرية، لم يشغلهم كثيرا التفكير في المعاني والدلالات. ذهبوا إلى أوروبا المدمّرة بفعل الحرب، تطلعوا إلى مبانيها الجديدة الأشبه بعلب الكبريت المتطابقة، بنوا مدينة نصر، ووزعوا معمارها على ما تيسَّر من المدينة.

كن رحبا، قدِّر وتفهّم أنهم كانوا صغارا، لم تسعفهم المعارف، خاضوا حروبهم بما أتيح لهم من إمكانيات. ما الذي يضير في نقلهم تخطيط المدينة. النوايا حسنة. خطأ بسيط، جل من لا يخطئ، الكمال لله وحده!

تأمل الناظر فكرته ومسار الكلام. قال: مصَّر الضباط الأحرار قلب المدينة ومنحوه للطبقة الوسطى، ما معنى ذلك؟ هذا موضوع شائك ومعقد يحتاج مقالا. كيف أمزج الحكاية بالمقال، لا مانع من مقال قصير تحتويه الحكاية، ولكن الموضوع يتطلب مقالا طويلا، حتما سيكون ناتئا، ثم إن الروايات على ما أعرف لا تفضح أفكارها بالتقرير المباشر، لا تقدم الأمور هكذا، بل تضمِّنها حياة شخصيات تروح وتغدو، تعيش وتموت، فيُجَسِّد مسارها ومصيرها تفاصيل الفكرة والمنظور. ليست مهمتي الآن نقل تفاصيل الانتقال وأشكاله، وتحليل كيف ولماذا ورث من ورث القاهرة الرومية. أريد أن أحكي عن المكان الذي ولدت فيه. لا خبرة لي بكتابة الروايات، أنا لا أكتب رواية بل أنظر في وسط المدينة حيث حكايتي، أتأمل القديم والمستجد من ملامحها، هذا ما أقصد.